أَلمشْروعُ السِّياسِيُّ المُبْرِيءُ لِلذِّمَّةِ في المَنْظُورِ القُرْآنِيِّ

محسن وهيب عبد

العتبة الحسينية المقدسة - كربلاء المقدسة

فحوى البحث

موضوع مهم يعبّر عن ما يجب أن يكون عليه السياسي من عهدٍ مبريء لذمته في قيادة المجتمع الذي يضع فيه ثقته ويتخذه أسوة حسنة في النزاهة والعصمة من الفساد، ولا يتحقق ذلك الا بالعمل الجاد والمخلص لاتباع أوامر اللّه واجتناب نواهيه كما وردت في القرآن الكريم أو في سيرة المعصومين أو مَنْ منحه اللّه –تعالى– الأهلية لتوجيه المجتمع الاسلامي والسير به في طريق الحق من مراجع الدين العظام الذين يعدّون حَمَلَةَ الراية الشريفة.

لقد وضع السيد الباحث القواعد الراسخة للقيم والمُثُل التي يجب أن يتحلى بها مَنْ يتصدى لتقديم نفسه للجمهور على انه سوف يمثلهم خير تمثيل في الانتخابات القادمة وانه القادر على إفراغ ذمته امام اللّه بما سوف يسعى الى تحقيقه.

تمهيد:

بسم الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة الا بالله، وصلى الله على خير خلق الله، محمد واله ومن والاه، لا سيما بقية الله- واللعن الدائم على الظالمين اعداءِ الله.

(قال الحسين بن علي عليه السلام: «كتاب الله عزّ وجلّ على أربعة أشياء: على العبارة، والإشارة، واللطائف، والحقائق، فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء عليهم السلام[1].

ولذا فالمعرفة القرآنية تختلف منهجيا تماما عن معارف العلوم الأخرى، فمع القران لدينا منهج معاكس تماما لما اعتدناه في العلوم الاخرى، حيث في القران الكريم نبدأ بالحقائق لننتهي الى مواضع قيامها سواء في الواقع الكوني او في الانفس: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[سورة فصلت: ٥٣]. اما في المعارف الاخرى فتبدأ بالاشياء لننتهي الى حقائقها.

ولقد اخترنا حقائق السياسة في القران الكريم باعتباره اخطر موضع يواجه الانسان لتعلقه بالولاية على الدم والمال والعرض والارض، وهو كذلك في القران الكريم فقد منحه الله تعالى اوسع اهتمام من آياته، ولكن تأطير الاسلام بعد وفاة الرسول مباشرة لصالح السياسيين الذين حكموا بعده، هو الذي ابعد القران عن اهم مهمة في حياة البشر واخطر مشكلة واجهتهم على طول التاريخ البشري.

وعلى عكس ما اشترطه القران من العدل في الامامة والسياسة ومنع غير العدول من تولي امامة الناس؛ فقال: (﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة البقرة: ١٢٤])، فقد عانى البشر على طول تاريخهم من السياسة والسياسيين الوضعيين او الاسلام السياسي المؤطر ولازالت البشرية تعيش الضنك بسبب إعراض الناس عن اشتراط الله للعدل في الامام وداهنوا الفسقة والطغاة للتسلط

(١) جامع الأخبار -(ج ٦/ ص ١٥)، بحار الانوار، ٩٢: ٢٠ حديث ١٨، عوالي اللآلي ج: ٤ ص: ١٥٥.

عليهم، فكان معيشتهم ضنكاً لقول الله تعالى: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴾ [سورة طه: ١٢٣ -١٢٥].

وقد فصل القران الكريم اسباب اعراض الناس عن صراط الله المستقيم من خلال قصص الانبياء، وقد اشارت ايات الله بشكل مباشر الى ظواهر رافقت حركات الهداة من الانبياء والرسل والائمة وتسببت في احباط جهود المصلحين ولكن لا يوجد من مدكر: ﴿ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾[سورة القمر: ١٥] وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾ [سورة القمر: ١٧][٢].

حاولنا في هذا البحث ان نستفيد فائدة كبرى باستنباط مشروع سياسي مبرئ للذمة من محكم الاي المبارك في القران الكريم، فضلا عن ما توجهنا به من سنة المعصوم المجمع عليها باعتبار ان، الهدى المنزل من الله تعالى ضمانا لسعادة الدنيا والآخرة فلا شقاء ولا ضلال: ﴿ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴾ [سورة طه: ١٢٣].

ولدينا في مذهب الامامية (مذهب اهل البيت عليهم السلام)، ان نظام الملة يتحقق بطاعة المعصوم طبقا لقول الزهراء عليها السلام: (وجعل امامتنا امانا من الفرقة وطاعتنا نظاما للملة)، وان اتباع الثقلين العاصمين والتمسك بهما معا ضمان من الضلال(إني مُخلِّفٌ فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتابَ الله، وعترتي أهلَ بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)[٣].

وفي زمن غياب الامام المعصوم؛

(٢) تكررت الاية في نفس السورة مع كل علة جديدة.

(٣) رواه في صحيح مسلم ٣٦/ ١٨٨٣: ٤ و ٣٧، سنن الترمذي: ٣٧٨٦/ ٦٦٢: ٥و ٣٧٨٨/ ٦٦٣، سنن الدارمي ٤٣١: ٢، سنن البيهقي ١٤٨: ٢ و٣٠: ٧و ١١٤: ١٠، مسند أحمد ١٤: ٣ و ١٧ و ٢٦ و ٥٩ و ٣٦٦: ٤ و ٣٧١، مستدرك الحاكم ١٠٩: ٣.

فان المرجع الاعلى يمثل المعصوم، وهو مع الكتاب يمثل الضمان في العصمة من الضلال بشروط متفق عليها، سنبينها في لاحق البحث ان شاء الله تعالى، من اهمها؛ عدم الركون الى اي تنظيم لم تتحصل فيه موافقة المرجع، بل لا بد من اعتبار كل التنظيمات السياسية الخارجة على المرجعية من الظالمين الذين منع القران الركون اليهم ويجب بغضهم والانطواء على العداوة لهم. ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾[سورة هود: ١١٣].

١. الخيار الاول للإنسان كخليفة على الارض:

مع كامل اللطف والثقة من المحسن الكريم كان الخيار الاول للخليفة المجعول هو العيش في الجنة، فالجنة هي نظام حياة على الارض وليس بستانا او حديقة، وعندما تعثر ادم بمخالفة هذا النظام الذي علمه الله له، كان -مرة اخرى -من فيض لطف الله ايضا خيار نظام ثان يوافق ما احدثته مخالفة ادم عليه السلام لنظام الجنة؛ من بروز السوءة وحسرة العودة اليها، فكان الخيار الثاني يتجسد في حياة دنيا هي فرصة يمنحها الله تعالى للإنسان ليكون مؤهلا لنظام الجنة من جديد ليعود اليها بهدى الله، قال تعالى: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[سورة البقرة: ٣٨].

وقال تعالى ايضا: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾[سورة طه: ١٢٣ -١٢٦].

(و "الهدى" المذكور في الآيتين يحتمل أمرين: أحدهما -البيان والدلالة. والآخر -الانبياء والرسل)[٤].

(«فمن تبع هداي» أي اقتدى برسلي

(٤) التبيان في تفسير القرآن -الشيخ الطوسي- (ج ١/ ص ١٧٢).

و احتذى أدلتي)[٥].

والقران يفسر نفسه في الآية: ﴿ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[سورة البقرة: ١٨٥].

فمن المؤكد ان يكون الهدى النازل هو القران والمعصوم، والاصل في هذا الهدى في الخيار الثاني بعد الهبوط من الجنة هو؛ ليقوم الناس بالقسط:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾[سورة الحديد: ٢٥].

اي ان الاصل في قيام القسط في دنيا الناس هو العاصم (الله)، والمعصوم (الهدى)، خصوصا ونحن نعلم ان الله قد جعل الامامة التي هي مناط السياسة والقيام بالقسط بين الناس في العدول من خلقه فقط، باعتبارها عهده العتيد في اقامة القسط، ومنعها عن الظالمين، قال ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[سورة البقرة: ١٢٤].

فلا خيار للإنسان في اقامة القسط الا بشرط الله وخياره فقط وقد حصرهما في العدول (المعصومين)، باعتبارهم مصطفون مختارون مكلفون من قبل الله تعالى لمهام اقامة العدل في الناس. فمن تبع غير المعصوم او اطاع غير المعصوم فهو من الظالمين.

٢. رسالة الانسان على الارض واقامة العدل:

يحكي كتاب الله العزيز في محكم آياته تفاصيل رسالة الانسان على الارض: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[سورة هود: ١]. فأساس رسالة الانسان هو ان يكون خليفة كما شاء الله تعالى؛ ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[سورة البقرة: ٣٠]، وقد ابتدأ خلافته بالجنة وفقا لنظام الجنة الفاضل؛ خيارا سخيا حيث ابتدأ بالثقة من عند الله، وعندما خالف آدم امر ربه ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[سورة طه: ١٢١] وتعثر بما يجب عليه ليتوافق مع نظام الجنة، منحه الله

(٥) تفسير مجمع البيان -الطبرسي -(ج ١/ ص١٦٧).

تعالى فرصة اخرى في خيار اخر اقل فضلا ليثبت جدارته بالخيار الاصل (الجنة) وليعود اليها بعد الامتحان والتمحيص في حياة دنيا، وكان الخيار الثاني للإنسان بعد خروجه من الجنة؛ وهو ان يرسل الله له (هدى)، ليهتدي فيعود لرسالته ومهمته التي جعله الله تعالى من اجلها، ويكون جديرا بخياره الاول (الجنة) او يخسر هذه الفرصة فيهوي بسخط الله وغضبه؛ قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴾[سورة طه: ١٢٣ -١٢٦].

بمعنى ان الانسان في الخيار الثاني (الدنيا) لا يصح منه عمل ولا تقبل خيارات فعله من قبل الله الا بالولاء لرسل الله ونذره وطاعتهم، فلا يصح منه العمل الا بطاعة الهدى النازل؛ كتاب ونبي او امام (المعصوم)، وقد اشترط الله تعالى لخيار الامامة العدل فقال تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[سورة البقرة: ١٢٤].

والحقيقة كما يحكيها التاريخ السياسي للبشر بطوله وعرضه، ويشير اليها الواقع الاجتماعي للأمم الى الان؛ ان البشرية لم تر العدل مبسوطا الا مع المعصومين وحسب، وقد نالت الانسانية من غير المعصومين الويلات والحروب والظلم بأنواعه، ولنرجع الى حقيقة تاريخ البشرية برمته فما هو الا قصة الظلم والظلامات التي تلقتها البشرية من الحكام والسياسيين منذ ان عرف التاريخ والى الان ولا شيء غير هذا.

ومما لاشك فيه فقد أسهم البشر انفسهم في تسلط الطغاة والمستكبرين عليهم؛ اما بعدم نصرتهم للصالحين من الانبياء والائمة المعصومين، او بالاصطفاف مع المستكبرين ضد الرسل والصالحين تحت ضغط الاستلاب النفسي واغراءات المترفين وترهيبهم،

وهذه قصص القران عن الانبياء بالإضافة للتاريخ تروي لنا كيف وقفت المجتمعات البشرية ضد انبيائها ومنقذيها لصالح اعدائهم ومستغليهم من المترفين والمستكبرين. ونحن دوما قريبين من قصة مقتل الحسين عليه السلام على ايدي المستلبين الامعات لصالح المترفين من ابناء فتيات قريش ذوات الرايات الحمر؛ (سمية ومرجانة والنابغة والزرقاء وميسون...).

وقد وصف الله تعالى تخاصم المستلبين والمترفين الطغاة يوم الحق والحسرة بقوله تعالى:

﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴾

[سورة ص: ٥٥ – ٦٤].

وبالرغم من كل الضيم والهضم الذي اصاب البشر من السياسة والسياسيين على طول التاريخ البشري والى الان، لم يكلف البشر انفسهم حتى من اعلى المستويات العلمية والأكاديمية في الجامعات ومراكز البحث ليبحثوا عن الاحوال التي يمكن ان يتطابق فيها العدل مع السياسة، متى وكيف؟.

والحق جل وعلا يخبرنا ان الحالة الوحيدة التي ضمنها الله تعالى لقيام العدل في الارض وبين البشر هي طاعة الرسل والأئمة الطاهرين بالعصمة فالإمامة عهد الله وقد ضمن الله للناس عدالة المختارين للإمامة من قبله فقال تعالى: ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[سورة البقرة: ١٢٤].

والدليل على صدق هذه الاية وصحتها هو واقع البشر فيما يحكيه التاريخ البشري برمته عن ظلم السياسة والسياسيين وطغيان الحكومات والحاكمين.

والغريب مع هذا الواقع ان التصور السائد عند الناس؛ ان العدل يمكن ان يتحقق من خلال عقد اجتماعي او مشروع

سياسي باجتهاد من أصحاب المشاريع التي تنشد الحكم وكفاءاتهم، ونسوا في هذا الوضع حقيقتان هما:

اولا: ان طالب السلطة؛ (فرد او جماعة في تنظيم) ومن اجل ان يتمتع بالسلطة باعتبارها من عناصر الترف، لا يهتم بالعدل كمهمة اولى، لان العدل يمنع عليه التمتع بترف السلطة ونشوة التسلط، فالسلطة اصلا في معاني العدل؛ هي تكليف وليس تشريفاً.

ثانيا: لا يمكن ضمان العدل في خيارات الانسان غير المعصوم سواء كان في السلطة او خارجها الا مع الكمال في الخلقة والذي لا يمنحه إلا الخالق جل وعلا، فالعصمة لا تصدق ولا تصلح ولا تبرز إلا مع اصطفاء الله تعالى واختياره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[سورة آل عمران: ٣٣ – ٣٤] حيث الاصطفاء محل التكليف وتحققه.

اذن؛ فلا مشروع سياسي مبريء للذمة مطلقا لا يستند الى طاعة المعصوم.

وقد يحس المستلبون بالدونية للغرب؛ لأن في الغرب حكومات نالت العدل او جزء منه، ولكن الواقع ان في الغرب نجد اعتى المجرمين في حق الانسانية بتاريخهم الاستعماري وما تنطوي عليه عقائدهم اليمينية المتطرفة، وبها ساندوا الطغاة من حكام العالم الثالث عملاء لهم ليمارسوا ضد شعوبهم اقسى انواع الاضطهاد والتنكيل، فسياسيو الغرب ابادوا شعوبا بكاملها، وهم السبب في معاناة البشرية لأحقاب ولا زالت الانسانية تعاني منهم، ولذا افردنا لأولئك الدونيين المتشدقين الهائمين بحضارة الغرب وعدالتهم، افردنا بحثا خاصا في الفصل الرابع من كتاب المشروع السياسي الاسلامي لبيان حقائق السياسة الغربية المجرمة لكشف غشاوة الدونية عن عيون المستلبين بها للغرب المترف.

الا ان هذا البحث جاء اصلا وبالتحديد لتوضيح وبيان علمية وعملية المشروع الاسلامي بالقراءة الصحيحة، من الحقائق القرآنية ومن اجل ابراء الذمة لكل من يرى ان ابتلاءات السياسة

هاجس له، فهناك حقائق قد تكون مردية ومسخطة لله اسهمنا بها من حيث نشعر او لا نشعر تتمثل بـ:

اولا: لقد اسهمنا جميعا بعدم اسناد المرجعية العليا لتأخذ دورها السياسي كاملا في المجتمع، والكل يعلم؛ ان عدم نصرة الامام العادل موبقة مهلكة نسال الله تعالى ان يعفو عنا ويهدينا سبل الرشاد.

ثانيا: اسهمنا في تمادي الفاسدين والمجرمين من السياسيين بسكوتنا عن ممارستهم السياسة الميكافيللية ونحن نعلم انها محض ظلم، بل وربما اوصلناهم الى ذلك الوضع غير المرضي وغير المقبول من قبل المرجعية بانتخابهم.

ثالثا: تغافلنا عن السياسيين من غير عدل كملاك للسياسة، ونحن نعلم انهم ادوات وبيادق بيد المستكبرين واصدقاء لهم (عملاء)، ولدينا الوسيلة في تغيرهم بالانتخابات ولم نفعل!!!.

رابعا: مع كل هذا قضينا وقتا وبشطر كبير من اعمارنا في السكوت عن الظلمة من السياسيين مقابل وجود الثقلين العاصمين من حيث ندري او لا ندري، فقد تركنا ما خولنا ربنا من الثقلين؛ كتاب الله وسنة المعصوم وراء ظهورنا لننتخب فلاناً وفلانة من اتباع الشيطان وعمال السوء ممن لا يملكون مشروعا سياسيا حتى فضلا عن ان يكون مبرء للذمة.

هذه الحقائق الاربعة هي ما تخيفني وتقض مضجعي، وان استمر حالنا على ما نحن عليه، ربما نكون مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾[سورة الانعام: ٩٤].

فكثير منا اليوم؛ هذا متمسك بفلان مجلس، وذاك بفلان حزب، والثالث بذاك التيار وكل هذه التنظيمات والتجمعات لا يملكون ما يبرئ ذمتهم وذمة منتخبيهم، وضل عن الجميع ما كانوا يزعمون!!.

ومثلنا في ذلك مثل العطشان يبحث في الصحراء القاحلة عن الماء والماء العذب يجري من تحته في جوف الارض.

فطاعة الثقلين المعصوم والكتاب لا

يتوفر في زمن الغيبة الا في النظام المرجعي، وتتحقق لنا براءة الذمة من خلال نظام التقليد والاجتهاد طاعة لله ورسوله، منضوين ضمن نظام الملة، فهو تجسيد لنظام الملة الذي نحن مأمورون بالتزامه والتمسك به لتبرئة ذمتنا اتجاه ارادة الله وتحقق رسالتنا ولبلوغ رضاه جل وعلا.

فترك السياسة والسياسيين الوضعيين وبغض الظلم ومعاداة الظالمين والتمسك بالمرجع الاعلم الجامع للشروط مبريء للذمة، وبملازمته والتمسك بطاعته يتحقق المشروع السياسي الاسلامي، بشرط ان يكون المقلِد كالمقلَد من اعداء للظالمين من كل صنف، ومبغض للظلم من اي مصدر حتى من النفس والاقربين، وان يكون مقتداهم من هدى الله من المعصومين لا غيرهم طبقا لقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[سورة الأنعام: ٨٩ – ٩٠].

وان كان للمرجع جند فليكن المقلِد من جنده المخلصين المطيعين الصادقين والذين يفتدونه بأنفسهم وأموالهم، عندها يستحقون الرحمة من ربهم ويزول ضنك العيش، ويعيش الناس عز الطاعة، ويتحررون من ذل المعصية، ويذوقون طعم الرحمة الالهية التي فقدت مع الطغاة والمجرمين. قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[سورة الأعراف: ٩٦].

٣. التفاصيل القرانية للمشروع السياسي المبريء للذمة.

هناك مفاهيم لابد من فهمها قبل الدخول في تفاصيل ماهية المشروع السياسي الاسلامي المبريء للذمة، مثل: الدين، والامامة، والعصمة، وظواهر متأصلة في المجتمع الانساني؛ مثل ظاهرة ارسال الرسل، وظاهرة الترف، وظاهرة الاستلاب باعتبارها ظواهر اجتماعية مؤثرة في ابقاء الوضع لصالح السياسة الوضعية الظالمة وسببا في انحراف الدين او تأطيره من قبل مدعي الاسلام ليجد

اعداء الله والمنحرفون مجالا للطعن في دين الله القويم:

١. الدين؛ هو الهدى النازل من الله تعالى؛ وهو يظهر في العلاقة القائمة الدائمة بين العاصم والمعصوم والمعتصم:

وعد الله البشر بعد اخراج أبيهم وامهم من الجنة بالهدى النازل منه ضمانا لمن يلتزم به ليسعد في الدنيا ثم ليعود الى الجنة، او يعرض عن هذا الهدى فيعيش الضنك في الدنيا ثم ينساه الله من رحمته في الاخرة قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴾[سورة طه: ١٢٣ -١٢٦].

قال الله تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾[سورة النحل: ٥٢]، واصبا أي دائما؛ (وله الدين واصبا «قال ابن عباس: يعني دائما اي طاعته واجبة على الدوام، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ﴾[سورة الصافات: ٩].

فالعاصم؛ هو الله تعالى بما ارسل من انبياء ونذر، وما انزل من كتب وبينات معجزات يسند بها رسله.

والمعصوم؛ هو النموذج البشري الكامل (حيث عند الكمال يتحقق الحسن) ليكون اسوة حسنة لغيره من بني البشر. وبكماله الذي يكون به وعاءً للعصمة ومعدنا للوحي، يتنزه الامام الحجة عن الظلم بكماله الخلقي وبالوحي الذي يتلقاه وتسنده البينات من ربه اتماما للحجية.

والمعتصم على سبيل نجاة؛ هو الانسان الطرف الثالث في الدين الذي تكتمل به العلاقة الدائمة القائمة وتقفل به الدائرة. فالإنسان المتدين هو المعتصم بالله المقتدي بالمعصوم نبيا كان او اماما طلبا لبراءة ذمته من مسؤولية الامانة التي ابتلي بها كخليفة في الارض.

وعليه يكون الدين هو كل ما يبرئ ذمة الانسان امام الله من ان يَظلم او يُظلم في خيارات التشريع الذي جاءت به

الرسلﷺ والذي هو عبارة عن الاجابة عن تساؤلاته وبخيارت فعل فيها الاستجابة لحاجاته، وبذلك يخلي الانسان مسؤوليته اتجاه ربه وإخوته من البشر.

اذن؛ فليس من العدل ولا من المنطق ان نفتش عن اجابات العاصم عن تساؤلاتنا في العبادات والمعاملات ونعمل بها ونستثنى مما نُبتلَى به من مسائل السياسة وابتلاءاتها وحاجاتها، خصوصا وان السياسة تختص بالمسؤولية والولاية عن الدم والمال والعرض والأرض!!!.

٢. حجة البعض في اغفال شؤون السياسة او التغافل عنها:

نجد في الرسائل العملية للمراجع كل المسائل والابتلاءات التي يبتلي بها الناس في حياتهم اليومية في ابواب مبوبة لكل العبادات والمعاملات؛ الزراعة؛ التجارة، والمضاربة، والضمان والحوالة... الخ، ولكننا لا نجد بابا للسياسة وابتلاءاتها.

فكيف يمكن ان نتصور حين لا نجد من الدين الكامل الخاتم ما يبريء ذمتنا في امور السياسة وهي محل ابتلائنا؟. وهل هذا معقول؟.

واذا كنا نستطيع ان نمنع وقوع الظلم، ومقتدرين على ان نردع الظالم وفق الشروط الشرعية ولا نفعل ذلك، فهل ذمتنا بريئة؟. وهل يمكن ان نكون مرضيين عند الله؟.

او كيف يمكن ان نتصور ان يترك مراجع الامامية امور السياسة ليتخول غيرهم ممن لا ذمة له ولا دين من ارباب الاحزاب العلمانية الدنيوية او المدعية للدين بدافع النفعية، او حتى ممن لا يعتنون ببراءة ذمتهم ليمارسوا السياسة فتكون حكرا عليهم، والسياسة سلطة على الدم والعرض وارض والمال وبالتالي سلطة على الدين؟.

ولو صدقت هذه الحال -وكما هو قائم الان -فهل التارك مهماته في السياسة لغيره ليفعل الظلم في المجتمع، اقول: هل هذا التارك يمكن ان ينال رضا الله تعالى؟. ام انه يكون قد ركن الى الظلم او اعان الظالمين؟. والله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [سورة هود: ١١٣].

هذه تساؤلات في الدين وتحتاج الى اجابة من الاصلين العاصمين؛ الكتاب والعترة، وهذه التساؤلات لا يتوفر عليها إلا القليل القليل من المتدينين ولو اقتربوا اكثر من المراجع ووضعوا الثقة فيهم بوصفهم (خلفاء الانبياء وامناء الرسل)[٦]؛ فان الله تعالى لا يخذل عباده المتوكلين عليه ابدا، وسيجدون من المرجع الاعلى ما يطمئنهم ويذهب بشكوكهم ويبريء ذمتهم ان شاء الله تعالى.

٣. العصمة اطروحة سياسية كونية قرآنية:

من بديهيات حقائق النسق الكوني الذي تجري به افعال الكون والكائنات بدقة وحكمة وسرمدية والذي نحياه ونتنفسه كالهواء؛ هو ان الكون له علة واحدة بدا منها ويسعى الى غاية واحدة تديمه او يستديم عندها. فإما العلة فهي القوة الموجبة الرحمة التي انجزت كل الكائنات والكون وأما الغاية؛ فهي الكمال والذي لا مصداق له إلا في العصمة والمعصوم.

فالعصمة هي الكمال في الخلقة والتي لا يمنحها الا الخالق البارئ المصور جل وعلا وفيها يكمن اصطفاؤه، فإنها اذن غاية الخلق وهدفه السامي الذي يسعى اليه الكون ويستديم به ويستقيم معه ويحلو معه.

فالعصمة بعبارة اخرى ليست معتقداً مذهبياً او مسلمة عقائدية فحسب، بل هي حتم تكويني لسنة سريان الكون باتجاه غايته. فالعصمة اطروحة كونية قبل ان تكون عقيدة دينية.

كذلك نجد من الكتاب العزيز ومن سنة المعصوم ان العصمة هي اطروحة

(٦) عن الامام الصادق عليه السلام روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال: الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا، قيل يا رسول الله وما دخولهم في الدنيا قال: اتباع السلطان فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم (دراسات في الكافي للكليني والصحيح للبخاري (٢٨/ ٤)، والكافي ١: ٣٧، ٥، و عوالي اللآلي (٤/ ٢١)، و كنز العمال: ٢٨٩٥٢، نوادر الراوندي: ٢٧. و بحار الأنوار/ جزء ٢/ صفحة [٣٦]، وجامع الأحاديث (١٤/ ٣٦٦)، وأخرجه الديلمي (٣/ ٧٥، رقم ٤٢١٠)، والرافعي (٢/ ٤٤٥). وأخرجه أيضًا: ابن أبي حاتم في العلل (٢/ ١٣٧).

كونية سياسية وليس مسلمة عقائدية تخص الامامية او تخص مذهبهم فحسب، كما يتصور الجاهلون بمعاني العصمة المكممين عقولهم بعقائد ما انزل الله بها من سلطان، فالعصمة هي غاية خلق الكون كله وهدفه السامي بالكمال، ولذا فهي خيار الله تعالى واصطفاؤه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[سورة آل عمران: ٣٣-٣٤]. فالله تعالى الكامل المطلق لا يختار لمهامه إلا الكامل من خلقه.

٤. مصداق العصمة هو الامام الحق:

تبرز وتتجسد العصمة بالإمامة المختارة من الله فهي عهد الله، وعهد الله تعالى لا ينال الظالمين ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[سورة البقرة: ١٢٤]، وعليه صار التمسك بكتاب الله وبالمعصوم معا مبرئاً للذمة في كل الامور بما فيها مشكلات السياسة وابتلاءاتها، بالضبط كما اوصى الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ: (إني مخلف فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما فلن تضلوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)[٧].

وعندها فالمشروع السياسي المبريء للذمة يتحقق بطاعة الامام المعصوم، والمعصوم يهدي للقران والقران يهدي للمعصوم كما يشير الإمام زين العابدين عليه السلام في جواب له عندما قيل له: ((يا بن رسول الله فما معنى المعصوم؟. فقال عليه السلام: (هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن، لا يفترقان إلى يوم القيامة، والإمام يهدي إلى القرآن، والقرآن يهدي إلى الإمام، وذلك قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾)).

وهو ما اكدته الزهراء صلوات الله عليها حين قالت في بعض من خطبتها (... وجعل امامتنا أمانا من الفرقة

(٧) رواه في صحيح مسلم ٣٦/ ١٨٨٣: ٤ و ٣٧، سنن الترمذي: ٣٧٨٦/ ٦٦٢: ٥و ٣٧٨٨/ ٦٦٣، سنن الدارمي ٤٣١: ٢، سنن البيهقي ١٤٨: ٢ و٣٠: ٧و ١١٤: ١٠، مسند أحمد ١٤: ٣ و ١٧ و ٢٦ و ٥٩ و ٣٦٦: ٤ و ٣٧١، مستدرك الحاكم ١٠٩: ٣.

وطاعتنا نظاما للملة)[٨]. فلا براءة ذمة الا بطاعة المعصـــوم ولا ضمان للعدل في القيادة والسياسة الا مع العادل كما اشترط رب العزة جل وعلا.

واما في غياب المعصوم فيتحقق هذا المشروع المبرئ للذمة كما هو اليوم بالنظام المرجعي القائم من خلال استيعاب الامة كلها وفق نظام الاجتهاد والتقليد. وهو نظام فني هرمي يشبه النظام الهرمي في الاحزاب السياسية إلا انه شامل واختياري في التعين وملزم في الشروط، ومشروط لا ثغرة فيه ولا يخترق، وفيه الولد الذكر يكلف شرعا فيدخل في النظام اذا بلغ الخامسة عشرة، والبنت تكلف شرعا اذا اكملت التاسعة من العمر فتدخل في النظام. فتكون الامة كلها مرتبطة بالمرجع الاعلى؛ منه تصدر الحلول واليه تصعد المسئلات والحاجات. وإدارة المجتمع من قبل المرجع بهذه الكيفية وبهذا النظام يشبه ادارة دولة ولكن بدون ضجيج، وهكذا كانت المرجعية منذ نشأتها الى الان. تحسب لها الدول والإدارات السياسيـــة الظالمة الف حساب.

٥. اهمية الثلة المؤمنة في تعضـيد المرجع واسناده:

لا يـصـدق عـلى الـنـظـام المرجعي النجاح المطلوب، وان يكون نظاما للملة فعالا في كل المجالات بما فيها السياسة الا من خلال اعتماد المرجع على ثلة مؤمنة بـالله واليوم الاخـر بـشرط انها تجـاوزت الاستلاب بكـــل اشكاله، ولم تتخذ من المضلين عضدا، تسند المرجع الاعلى وتمنع سريـان نتائج جدل الـترف والاستلاب التي حصلت مع الانبياء ورسالة السماء لتضيع جهود المرجع ولا تحترم فتاويه كما ضاعت جهود الرسل عليهم السلام.

فان جدليـــة الظواهـــر الاجتماعية الثلاث التي عصفت نتائجهـــا بجهود الرسل عليهم السلام مازالت قائمـــة ويمكن ان تعصف بجهود المرجع مهما كان راسخا في علمه قويا في ورعه وتقواه وحتى ان كان يتمتع بنفس قيادي فذ.

تلك الثلة المؤمنـــة كما هي ضرورية جدا لتعضيد النبي او الامام الحق في مهمة اقامة العدل على الارض، ايضا تكون

(٨) البحار: ٦/ ١٠٨/ ١.

الثلة المؤمنة ضرورية جدا في تعضيد المرجع الاعلى ليقوم بمهامه كما ينبغي له وبما كلفه الله تعالى.

٦. **ادلة ضرورة وجود الثلة المؤمنة للقيام بأمر الله:**

لنا من قصص الانبياء اكثر من موقف نجد فيه الانبياء يطلبون النصرة، فقد استغاث لوط(ع) وهو يرى قومه يصرون على ظلمهم وباطلهم: ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾[سورة هود: ٨٠]. ولنا في سيرة المعصومين اكثر من رواية صحيحة تثبت ضرورة وجود الثلة المؤمنة الصادقة لتدعيم وتعضيد واسناد قيام نظام الملة الفاعل:

٧. **ملاحظة جديرة بالاعتبار: جاء في مقدمة الصحيفة السجادية الحديث التالي:**

(قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ(ع): مَا خَرَجَ وَلاَ يَخْرُجُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ إِلَى قِيَامِ قَائِمِنَا أَحَدٌ لِيَدْفَعَ ظُلْماً أَوْ يَنْعَشَ حَقّاً إِلاَّ اصْطَلَمَتْهُ الْبَلِيَّةُ، وَكَانَ قيامه زِيَادَةً فِي مَكْرُوهِنَا وَشِيعَتِنَا).

قد يفهم من هذا الحديث انه نهي عن القيام ضد الظالم بأي نشاط سياسي، وهذا يتنافى مع حقيقة الائمة وبغضهم للظلم وعداوتهم للظالمين وقضائهم جميعا شهداء على يد الظالمين. ولذا يفسر الحديث بالحقائق التالية:

اولا: علم الائمة(ع) بحقيقة الجدل القائم بين رسالات الرسل وقلة الناصرين وعداوة المترفين وخذلان المستلبين الامعات والذي يفضي دوما الى غلبة المترفين المستكبرين مما يزيد في مكروه الصالحين واتباعهم.

فهذا الحديث وصف لما سيحصل للقائم الثائر بالسلاح ضد الظلم، حيث سيكون مثله مثل الانبياء والأئمة المخذولين، فقد علم الامام(ع) تماما ما افضى اليه جدل اصحاب الرسلات السماوية مع المترفين في امة مستلبة تماما، وكما يحكي كتاب الله في قصص الانبياء(ع) فالغلبة دوما للمترفين، ما دام الناس على دين ملوكهم والدين لعق على السنتهم. كما قال الامام الحسين(ع): (ان الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معائشهم فإذا محصوا

بالبلاء قل الديانون)[٩].

ثانيا: الحديث منطبق تمام الانطباق مع سيرة الائمةعليهم السلام بالدعوة لصراط الله بالتي هي أحسن، فهي الوسيلة الافضل من ان نقوم بقوة السلاح لا بإكراه الناس على الدين الذي هو اصلا مجرد لعق على السنتهم. وليس هناك مسوغ للثورة على الحكام للتسلط باسم الدين مع ثلة غير مؤمنة، ففي هذه الحال تكون الثورة وبالا على الدين وعلى اهل الدين الحقيقيين كما يصف الامامعليه السلام.

فان هناك بونا شاسعاً بين القيام المسلح لتغيير الحكم بالقوة وبين ان نسلك من الدين نفسه وبوسائله ونعتبر بسير الأنبياء والمرسلينعليهم السلام في نهج دعوة الناس إلى الله تعالى بما يسمونها اليوم (ثورة اللاعنف)، حيث النتائج ميسورة والتبعات مضمونة العواقب.

ثالثا: مع غياب الثلة المؤمنة فان الائمةعليهم السلام كانوا جميعا وبدون استثناء يسعون لشيوع الفضائل برفض الظلم وعداوة الظالمين وبالتي هي احسن؛ هذا هو نهجهم.

من هنا لا ادري كيف صار هذا الحديث عند البعض شماعة للبعد عن التصدى لمواقع المسؤولية السياسية مع قدرتهم عليها وتهيئها لهم، وصار ذريعة للوهن والتقاعس عند بعض الامامية عن مهام رسالتهم على الأرض التي خلقهم الله تعالى من اجلها حيث قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ووفقا لهذا التقاعس سلم هذا الخليفة الالهي المفترض!. أموره السياسية ومقاليد امته لغيره من الفئات الأخرى الظالمة ولم يفكر بمشروع سياسي من اصل العقيدة الكاملة مبرء لذمته!!.

فهل هو الجهل؟. ام هو الجبن؟. ام هو العجز والقصور عن فهم سيرة الانبياء والرسل والمعصومين من آل محمد صلوات الله عليهم؟. وبدافع الميل الى الدعة والاستقرار والبعد عن المشاكل؟. ام هو فقدان توفيق الله ام جميع ذلك؟.

٨. الاماميون يمتلكون حكومة لم تمت على مر التاريخ:

(٩) بحار الانوار ٧٨: ١١٦، ومقتل الحسينعليه السلام للخوارزمي ١: ٢٣٧ نقل في كربلاء.

الامامية هم الوحيدون في العالم الذين يمتلكون اطروحة سياسية ربانية محكمة مبرئة للذمة، قائمة دائمة وهي دولة تضعف ولكنها لا تموت، تتمثل بنظام الملة، والدولة القائمة بنظام الملة مجسدة بالإمام المعصوم في وقته، والحديث يرمي الى الحفاظ على تلك الدولة وان كانت ضعيفة، وينشد الحفاظ على الثلة المؤمنة حاملة الاسلام الصحيح وان كانت قليلة، وألان دولة الامامية قائمة بالمرجعية الدينية باجتهاداتها الستة التي تنعم الامة بمقتضاها بمشروع سياسي كوني رباني ليس له نظير، حفظ معاني السياسة في الاسلام باعتبارها تتلازم مع العدل كما حفظ للإسلام بذلك قراءته الصحيحة.

وبالرغم من كنز نظام الملة الذي يمتلكه الاماميون والمشروع السياسي الذي لا يموت، فان هذا الحديث وبدون فهم وبدون وعي لمراميه جعل بعض الشيعة على مر الدهور أتباع أذلاء في السياسة لغيرهم من الفرق والمذاهب الأخرى، الا ما ندر.

على فرض ان الذي أولّ او الذي فسره الحديث؛ بلزوم القعود مطلقا؛ خرج بضرورة عدم التورط مع الطغاة بأي لون من المقاومة حتى قيام القائم عليه السلام وعجل الله فرجه؛ باعتبار ان القيام هي مهمة الإمام عجل الله فرجه دون غيره، وبهذا يرى لزوم تجنب السياسة والابتعاد عن طغاتها، بدافع الخوف على مذهب الشيعة وحفاظا على أفرادهم وتجمعاتهم.

لا باس في هذا؛ ولكن فات هذا المؤول، انه جانب الصواب وخدم الظالمين مرتين:

- مرة بتصديه لمقام الإمامة والإفتاء والتأويل، وهو جاهل جهلا مركبا لهذا المقام وبعيد عن رسالة الأنبياء وما استشهد عليه أئمتنا الأبرار جميعا عليهم السلام، والذين لم يمت احد منهم حتف انفه، بل كلهم قضوا شهداء على يد الظالمين؛ فهو لم يتمعن في معاني سيرة قادتنا عليهم السلام، و يجهل رسالته الكونية وواجباته الدينية التي يثاب عليها ويعاقب.
- ومرة ثانية عطل الجهد الرسالي في

السلوك الجمعي للمؤمنين المتمثل برفض الظلم وعداوة الظالمين؛ الذي هو جوهر رسالة الرسل عليهم السلام والذي لا يصح إسلام الآدمي الا به. لأنه قاعدة أساس من فروع الدين وهو: (التولي لأولياء الله والتبري من أعداء الله).. وبذلك صيرّت الأمور السياسية بالضرورة لغير أتباع أهل البيت عليهم السلام لملء الفراغ السياسي حين تركوها لدواعي دينية مزعومة باعتبار السياسة شر لابد منه.

فالقيام الذي يقصده الإمام في الحديث هو؛ الثورة المسلحة، وإعداد الجيوش وإعلان الحرب، بل والدخول في حرب مع الدول القوية القائمة... وهو ليس أسلوب الرسالات السماوية على الإطلاق.

ان جوهر الاطروحة السياسية الكونية المرضية من قبل الله تعالى هو التزام طاعة المعصوم والذي سمته سيدتنا الزهراء عليها السلام بنظام الملة، ان هذه الاطروحة قائمة بوجود المعصوم حتما، وقد مهد لها الائمة عليهم السلام بنظام الوكلاء استعداد لغيبة المعصوم ثم تركز نظام الملة بقيام نظام الاجتهاد والتقليد ليستوعب الامة كلها من خلال طاعة المرجع الذي هو مجتهد اعلم يوفر للناس نظام طاعة المعصوم ويدخل فيه كل اتباع المعصوم من خلال القاعدة العقلية (عمل العامي بدون تقليد باطل).

فالأسلوب الدعوي في الرسالات السماوية منهج له أصوله وفقهه ومنهاجه وأساليبه ومراحله ولسنا بصدده الان ولكن هناك بيانا واضح المعالم جدا في كتاب الله تعالى من خلال سيرة الانبياء التي تحكي ذلك المنهج.

٩. الثلة المؤمنة هم جنود الله الصادقون:

قال الله تعالى يصف الثلة المؤمنة من اصحاب الرسول صلى الله عليه وآله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم

﴿مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الفتح: ٢٩]).

وكذلك من المؤكد ان هناك صفات خاصة لمعاني الثلة المؤمنة من اصحاب الامام او المرجع من حيت النوع والكم معا، فلا فائدة في نوع مهما كان جيدا دون كم لازم للقيام بالمهام الكبرى للرسالة السماوية، ولا عدد مهما كان كبيرا دون نوع لازم لمعرفة المهام، وقد وردت روايات في توصيف الثلة المؤمنة كي لا يتوهم البعض ان مجرد العدد الكبير يكفي او وجود نوعية صادقة تكفي بل لابد من الكم والنوع معا.

اولا: قال الكاظم عليه السلام: «ليس كل من قال بولايتنا مؤمناً، ولكن جعلوا أُنساً للمؤمن»[١٠]. بمعنى أن هذه الاعداد الغفيرة من الناس ممن يقولون بولاية اهل البيت صلوات الله عليهم قد لا يملكون الموصفات المؤهلة اللازمة للقيام بالمشروع المبرئ للذمة.

ثانيا: للثلة المؤمنة ميزة خاصة بما يصفهم الامام علي عليه السلام كما في الرواية التالية:

الإمام علي عليه السلام -لما خرج على أصحابه محزونا يتنفس -: (كيف أنتم وزمان قد أظلكم؟!. تعطل فيه الحدود ويتخذ المال فيه دولا، ويعادى [فيه] أولياء الله، ويوالى فيه أعداء الله؟!. قلنا: [يا أمير المؤمنين] فإن أدركنا ذلك الزمان فكيف نصنع؟. قال: كونوا كأصحاب عيسى عليه السلام، نشروا بالمناشير، وصلبوا على الخشب، موت في طاعة الله عز وجل خير من حياة في معصية الله[١١]:

اذن حتى الامام الحق لا ينهض بالأمور السياسية للدولة والناس جميعا الا مع الثلة المؤمنة الصالحة المتمسكة بطاعة المعصوم حد الموت والتي يضمن معها النجاح لمشروع الله تعالى المبرئ للذمة.

١٠. الجدل الاجتماعي التاريخي في المسالة السياسية للبشر:

استنادا الى دراسة انتروبولوجية لظاهرة تاريخية متأصلة، هي ظاهرة

(١٠) أعلام الدين في صفات المؤمنين -(ج ٩/ ص ١٩).

(١١) نهج السعادة: ٢/ ٦٣٩.

ارسال الرسل عليهم السلام وما يرافقها من ظواهر اجتماعية، وهي ظاهرة لا يسع لمنكر ان ينكرها حتى الملحد؛ في هذه الظاهرة نجد ان هناك حالة جدل يحكيها التاريخي للبشر وتفصلها الآيات المحكمات من كتاب الله العزيز، هذا الجدل او الصراع قائم دوما بين ثلاثة اطراف هي؛ في الطرف الاول: الرسل والثلة المؤمنة، والطرف الثاني: هم المترفون المستكبرون الظالمون، والطرف الثالث: هم المستلبون الامعات من البشر في المجتمعات.

الطرف الاول: الرسل والثلة المؤمنة:

وهم غاية الكون وكماله وهم اختيار الله واصطفائه من الناس: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[سورة آل عمران: ٣٣]، وقد كملهم وكلفهم ليكونوا رسلا وانبياء وحججا و ليقيموا العدل في الناس.. وهي المهمة الاساسية للوجود والموجودات كلها، قال الله تعالى في معاني هذه المهمة الكبرى لرسل الله وكتبه وبيناته ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾[سورة الحديد: ٢٥]. ليقوم الناس بالقسط.

اذا فالأهداف العامة والأساسية للرسل عليهم السلام تتلخص:

اولا: بعداوة الظالمين وبغض الظلم؛ بما فيه الظلم العظيم الشرك: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[سورة لقمان: ١٣]، ثم ان الظلم هو المعنى الجامع لكل قبح، وقد كانت الصفة الالهية الملازمة لاختيار الائمة هي العدل: ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[سورة البقرة: ١٢٤].

قال تعالى للذين ينشدون ان يكونوا على ملة ابراهيم ومثل ثلته المؤمنة: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [سورة الممتحنة: ٤].

ثانيا: الغاية الثانية المكلف بها الرسل عليهم السلام هي؛ نشر القيم الانسانية الراقية واشاعة الفضائل وفق نموذج معصوم،

الرسل ذاتهم يمثلون ذلك النموذج، باعتبارهم حملة عهد الله تعالى. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل: ٩٠].

ولذا امر الله بالتأسي بالرسل والاقتداء بالأئمة فقال: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [سورة الأحزاب: ٢١].

وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [سورة الأنعام: ٨٩ – ٩٠].

الطرف الثاني في الجدال السياسي؛ هم المترفون:

الترف؛ ظاهرة اجتماعية تتوفر في الناس عند موفورات؛ المال والوقت والسلطة (القوة)، فاذا لم يكن عند اولئك الناس دين يعلمهم كيف يتم صرف الفائض من المال ومن الوقت ومن السلطة؛ فان الترف يرافقه ارتكاب المعاصي والموبقات التي يفقد معها الانسان توفيق الله ورحمته، وعلى اساس منطقي وعقلي فان ما لا يصرف في طاعة يصرف في معصية والله تعالى يقول (ان الانسان ليطغى ان راه استغنى).

وقد يكون من البلاء الاساس في الدنيا ان لكل نبي ومصلح وامام عدو: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾ [سورة الأنعام: ١١٢].

وقال ايضا: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا﴾ [سورة الفرقان: ٣١].

وقد اكد القران الكريم بان لكل رسول مناهضين من المترفين يقفون كراس حربة لدعوته فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [سورة سبأ: ٣٤].

وكذلك يؤكد هذه الحقيقة قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٢٣].

فالمترفون يقفون بالضد دوما من

دعـوات الرسلﷺ ويـألـبـون عليهم المستلبين من الناس؛ قال تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾[سورة المؤمنون: ٣٣].

ولذا فان المترفين هم السبب في هلاك كثير من الامم بسبب محاولاتهم افشال دعـوات رسـل الله، لان اتباع موفرات الترف (المال والسلطة والجاه والوقت) تؤدي الى الفساد فالاجرام بحق النفس وبحق البشرية، فما لم يـصرف من تلك المـوفـرات في طـاعـة، لابـد يـصرف في معصية.. قـال تـعـالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾[سورة هود: ١١٦].

والعذر في هلاك الامم ان المستلبين يطيعون المترفين ضد منقذيهم من الرسل فيستحقوا العذاب فيصدر الامر الالهي بالهلاك والعياذ بالله: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾[سورة الإسراء: ١٦].

الطرف الثالث في الجدل السياسي هم المستلبون:

أ. ماهو الاستلاب؟.

الاسـتـلاب شعور مـرضي نفسي في الاغوار اصله من اللاوعي او كما يسمونه بالعقل الباطن، وهو سائد في المجتمعات الـبـشريـة عـمـومـا، كـان دومـا يساعد بمنع قيام دولـة العدل، دولة الانسان والانسانيـة التي تكرم وتحترم الانسان؛ وجوده وحياته وعقله وحريته وتطلعاته.

فالاستلاب هو التأثير النفسـي من جانب اللاوعي الماحي او المعطل لعقيدة الانسان الفرد المعلنة والمفترض انها المؤثرة في خيارات فعله، فيكون المستلب بذلك مجرد امعة، ينتمي الى عقيدة ويختار افعاله بموجب تأثيرات نفسية داخلية لعقيدة اخرى. فان الاستلاب هو شعور باطن في اللاوعي.

ان الاسـتـلاب امـر ممكن جـدا مع وجود العقيدة عند البشر، بل وموجود وشائـع جدا بيننا وفي كل المجتمعات الانسانية. اما في حال غياب العقيدة فهو

امر واقع فعلا وهو النافذ في خيارات فعل الانسان. وقد كان لظاهرة الاستلاب اهمية كبرى في ادارة الصراعات السياسية التاريخية الكبرى لبني البشر، وفي تقرير نتائجها وقد اكدها كتاب الله العزيز بتكرار في قصص الانبياء:

ب. الاستلاب بالفوقية في قصص الانبياء:

الفوقية شعور باطن يظن معه صاحبه انه افضل من الاخرين اصالة لشعار ابليس ضد ادم (انا خير منه)، ولا يرى حقا لغيره في المواقع القيادية او المناصب السياسية الكبرى. وقد تصدى الفوقيون من كل الشعوب وعلى مدى تاريخ الانسانية كله لولاية الامر لقيادة الامم وادارة الدول. وفي الامة الاسلامية كان حدث فوقي في اثناء مرض النبي ﷺ ان تسلطوا عليه ومنعوه من كتابة وصية منقذة لما يمكن ان يكون بعده، بما سموه رزية الخميس[١٢]

واتهام من لا ينطق عن الهوى بأنه يهذي.

وبسبب خوف النـــاس من الفوقيين نرى الان وفي كل العالم يطالب الجميع ان يكـــون (الرجل المناسب في المكان المناسب)، ولكن دون جدوى، فقد تقدم الفوقيون للمناصب دون اهلية ليزيحوا الاكـفـاء عـن مـواقـع تفترض ان تكون لهم ثم بعدها لتصبح السياسة وبالا على الناس. فمقياس الفوقيين للفضـــل هي المال والقـــوة ويعتبر الفقر والضعف من الرذائل عندهم:

﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾ [سورة هود: ٢٧].

فالفوقيون يترفعون على انبيائهـــــم بحجة انهم مجرد بشر، او ان اتباعهم من الفقراء. ويقولون ان النبي بشر مثلهـــم يريد ان يتفضل عليهم:

(١٢) صحيح البخارى (١١/ ١٢٢): ٣٠٥٣- عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ يَوْمُ الْخَمِيسِ، وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ ثُمَّ بَكَى حَتَّى خَضَبَ دَمْعُهُ الْحَصْبَاءَ فَقَالَ اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ -وَجَعُهُ يَوْمَ الْخَمِيسِ فَقَالَ «ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا». فَتَنَازَعُوا وَلاَ يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازُعٌ فَقَالُوا هَجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. أطرافه ١١٤، ٣١٦٨، ٤٤٣١، ٤٤٣٢، ٥٦٦٩، ٧٣٦٦ -تحفة ٥٥١٧-٨٥/ ٤.

﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾[سورة المؤمنون: ٢٤].

وهناك نوع اخر من الفوقية يستشعرها الفوقيون، ويدعون انهم حصلوا على التفوق بما يمتلكون من مهارات وعلم ومال، وان العلم هو ذاتهم وليس فضلا من الله تعالى.. ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾[سورة القصص: ٧٨].

ان كل مصائب الاسلام والبشرية في التاريخ جاءت من الفوقيين الذي تصدوا لمناصب ليسوا اهلا لها حتى وصل الامر ان تكون خلافة رسول الله ملكا وراثيا وان يصبح الفاسق والمجرم واللوطي في مقام خلافة الرسول الاعظمﷺ، كما هو حال الوليد بن يزيد بن عبد الملك.

ج. وللشعور بالاستلاب بالدونية صور في القران:

الدونية؛ هي ان ترى عقيدتك دون عقيدة غيرك، او ترى ان عقيدة غيرك هي افضل من عقيدتك. فكما جاء في القران؛ ان الدوني يظن على سبيل المثال ان قوما يعبدون الاصنام افضل منهم: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾[سورة الأعراف: ١٣٨].

و يرى الدوني ان الغلبة دوما وبجميع صورها حتى المرذول منها سمة علوية يجب ان تتبع: ﴿ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾[سورة الشعراء: ٤٠].

وان الدوني يرى ان الابهة والزينة الدنيوية من مسوغات الدونية ومنهج للدونيين:

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾[سورة القصص: ٧٩].

بهذه الصور للدونية تختل الموازين الاجتماعية للفاضل والدوني يستغلها المترفون ليوجهوا الصراع لصالحهم مع الرسل والرساليين حتى ضد الدونيين انفسهم.

د. الاستلاب بالنفعية والعمل الواجهي:

النفعي؛ يظن ان كل نعمة يحوزها انما حازها لعظم خطره عند الله، ويظن دوما انه في حبوة من القدر، ولذا فاذا تغيرت الامور وفقد النعمة او جزء منها انقلب على عقبيه قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ

بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [سورة الحج: ١١].

وقال تعالى ايضا: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ [سورة فصلت: ٥٠].

هؤلاء النفعيون وان بدو انهم من اصحاب الرسل او من اصحاب المراجع او حاشياتهم الا انهم قد ينقلبون بمجرد ان تتغير عليهم بشيء من مناقعهم.

٥. واشار القران الكريم باشكال كثيرة الى ظاهرة الاستلاب بالنفاق:

فقال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ ﴾ [سورة التوبة: ١٠١]. ويتجنى المنافقون على اصحاب الدين:

﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ﴾ [سورة الأنفال: ٤٩].

ومع الاسف فان المنافقين يصطفون على باطلهم علنا ضد الرساليين:

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [سورة التوبة: ٦٧].

والمنافقون اخطر على الدين والرسل والمراجع من الكفار لانهم يبطنون ما لايعلنون.

١١. حاصل الجدل التاريخي ونتائجه:

ان السياسة برمتها في التاريخ البشري هي حكاية الجدل بين الظواهر الثلاث (الرسل والرساليون، والترف والمترفون، والاستلاب والمستلبون). وفي الغالب ينتهي الجدل الى تعطيل دولة الانسان الخليفة المجعول من قبل الله في الارض، او من ينوب عنه. ولذا فان قيام الدول بلا ايديولوجية سياسية مضمونة بالعصمة والمعصوم، او حتى مع العصمة تكون عديمة الجدوى مع استشراء الاستلاب في المجتمع حيث تعاني منه الشعوب، فمع الاستلاب تتحول الناس الى امعات لا يعرفون مصالحهم ولا يعرفون العدو من الصديق.

١٢. مازق سياسيي الصدفة:

كل من يتقدم للعمل في السياسة اتفاقا وصدفة وفي اوضاع الاستلاب المستشرية في الامة ومهما كان مدعاه ومبدؤه اذا كان لا يملك مشروعا سياسيا مبرئا لذمته امام الله تعالى؛ ولا يسنده الصادقون بالنوع المثمر وبالعدد الكاف في مجتمع يتسلط فيه المترفون؛ يجد نفسه مباشرة ازاء المترف بجميع ما اوتي من مال وقوة ووقت في حلبة الصراع، فلابد ان يخضع لمنظومة الجدل وقواعد اللعبة فيه والتي يسيطر عليها ويديرها ويحكمها العدو العتيد ابليس!. عندها لا خيار له من اصل عقيدته التي هي مدعاة اصلا، بل كل شيء يأتي وكانه مفروض عليه، واذا به يصير مجرد جندي في تنظيم دنيوي وبيدق في جيش ابليس، فالسياسي بدون الضمانات المبرئة للذمة يكون هو ايضا مستلب يتحرك وفق قواعد لعبة المترفين الكبار شاء ام ابى، وهذا هو واقع حال سياسيينا ومدار سياستنا!!.

على هذا الاساس فان غياب ايدولوجيا سياسية اسلامية معصومة او ساعية للعصمة ومبرئه للذمة للحكم (أي وفق نظام الملة) -وهذا ما يتصوره الناس في الغالب في غياب المعصوم -يجعل كل التنظيمات السياسية الموجودة و مهما ادعت الاسلام والتبعية لأهل البيت عليهم السلام انما هي عبئا على الاسلام ومسربا للطعن فيه، وموضعا لاختراقات المترفين، ولذا اذا دخلت تلك التنظيمات حلبة السياسة كانت اداة بيد ابليس وحزبه شاءت ام ابت وكانت سببا للطعن في الدين، وهذا واقعنا تجسيد لما نقول. فعلى الفطن الكيس ان ينتبه ويحذر.

١٢. الاستلاب في الامة لم يبق الا معنىً واحدا للسياسة لا علاقة له بملاكها العدل:

بعد ان تعرفنا على معاني الاستلاب، وانه ظاهرة مستشرية ومتأصلة في المجتمعات اصلها من اللاوعي تعتري الشخص فيتصرف بمقتضى دوافعه الخفية؛ فهو لا يدرك ما يجري والاخرون يدركون دوافعه، فصار علينا ان نعرف ان المشروع السياسي المبرئ للذمة يتحقق في نظام الملة، وان نظام الملة تمثله اجتهادات

علماء مذهب ال محمد في معاني المرجعية الستة ووفق شروطها.

الا اننا يجب ان نعرف ان المترفين والمستلبين كما وقفوا بالضد من الرسل يقفون اليوم بالضد من المرجعية، وان عدم نهوض ائمتنا المعصومين عليهم السلام بالأمر بعد نهضة الحسين عليه السلام ليس مطلقا وإنما معلول لسببين هما: عدم وجود الناصر المخلص وبالعدد الكافي، والخوف على الثلة المؤمنة من الابادة.

ان انتماءنا الى المرجع الاعلى وفق شروط الاجتهاد والتقليد واختيارنا لنظام الملة مشروعا سياسيا مبريءً للذمة قد لا يكفي للنهضة او تولي الحكم؛ اذ يكون علينا من اجل ذلك ان نحرز الثلة المؤمنة في ارقى المستويات نوعا وكما للقيام بأخطر المهام في الوجود كما يسميها الامام علي عليه السلام، وقبل ان يتحرز ذلك لنا يجب علينا ان نراقب ما يجري في السياسة، وان تكون لنا معايير ضابطة من اصل عقيدتنا الكاملة في السلوك السياسي العدل للتصحيح والتقويم والمراقبة لشخصياتنا ولمنهاجنا السياسي ولخياراتنا السياسية ولممثلينا في السياسة لتمام وكمال براءة الذمة.

ان استشراء ظاهرة الاستلاب وقوة المترفين دليل على الحاجة الى ثلة مؤمنة بالكم والكيف لمواجهة الامعات والمترفين، وسيسهم بروز المشروع السياسي المبرئ للذمة في صناعة الثلة المؤمنة القادرة على المواجهة والممهدة لظهور صاحب الامر عجل الله فرجه.